مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

الحجاج بالتشبيه وضرب الأمثال في الخطاب القرآني

-نماذج مختارة-

Argument using metaphors and exemplification in the Qur'anic speech - Select models –

واسيني بن عبد الله *،جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر . ouassini.benabdallah@univ-msila.dz

تاريخ المقال

الإرسال :2021-05-03 القبول:2021-06-16 النشر: 2021-10-28

الكلمات المفتاحية

الخطاب القرآني
الحِجاج
التشبيه
ضرب الأمثال

ملخص البحث

يدور موضع البحث حول الحجاج في الخطاب القرآني بأساليبه المختلفة، ويركز على التشبيه وضرب الأمثال؛ ذلك أن القرآن استعمل العديد من الوسائل في إقناع المتلقي بالقضايا التي يريد إثباتها له أو نفيها. وردع المخالفين ودحض حججهم بالتي هي أحسن.

ولعلّ من تلك الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في الإقناع والحجاج نجد: الحجاج بالقصة، وبالمثل والتمثيل، وبالحوار، وبالنقيض، وبالعقل، وبالكون والدلائل الكونية.ولا شك أن التشبيه وضرب الأمثال من أنفع الآليات في ذلك.

ويهدف البحث إلى إظهار مواطن الجمال في بعض آيات القرآن الكريم الحجاجية التي استعملت التشبيه وضرب الأمثال في العملية الإقناعية للمخالفين والمنكرين والموافقين على حدٍّ سواء.

Abstract

The research addressed Argument in the Holy Qur'an and its various instruments, however, focuses on metaphors and exemplification. Many instruments were used in argumentative discourses in the Holy Qur'an in order to convince the receiving end with the cases the Holy Qur'an put forward to prove or deny, in addition to deterring violators and refuting their arguments.

Perhaps among those methods adopted by the Holy Qur'an in persuasion and Argument we find: Argument by story, Metaphors and Exemplification, by Dialogue, by Otherwise, by Reason, by the Universe and by Cosmic evidence. There is no doubt that Metaphors and Exemplifications are among the most useful instruments to do so.This paper aims at highlighting the Aesthetics in some Argumentative Qur'anic verses that employed metaphors and exemplification in the persuasive procedure to convince violators and deniers, as well as Approving Partie.

Keywords

Quranic speech
Argument
Metaphors
exemplification

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

لا شك أن القرآن الكريم خطاب إلهي مقدّس أنزله الله تعالى عن طريق سيدنا محمد ρ إلى العالمين، وقد جعله الله خاتمة كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وضمنه وصايا ونصائح وإرشادات... مما يصلح لهداية البشر وتنوير طريقهم إلى الله Y.

وكان من ضروري في ذلك أن يبرهن على ما جاءهم به من عقائد وأحكام وأخبار وغيبيات وغيرها، ويقنعهم لأن يدخلوا في دين الله أفواجا، ويدلّل بما له من أدلة وآيات على صدق ما جاء به، وهذا ما يسمى بـ آليات الحجاج في الخطاب القرآني، أو استراتيجيات الإقناع، أو وسائله...

ومن تلك الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في الإقناع والحجاج والبرهان نجد: الحجاج بالقصة، وبالمثل والتمثيل، وبالحوار، وبالنقيض، وبالعقل، وبالكون والدلائل الكونية.

وقد كان التركيز في هذا البحث حول الحجاج بالتشبيه وضرب الأمثال في الخطاب القرآني. فما هي إجراءات هذا النوع من الحجاج ، وما هي تطبيقاته في القرآن الكريم؟

وسأتطرق في هذا البحث إلى مفهوم الخطاب القرآني، وإلى آلياته المتنوعة وأخص بالذكر التشبيه وضرب الأمثال، ومستدلا على ذلك من القرآن الكريم ومن أقوال المفسرين والباحثين.

وتكمن الإشكالية العامة في مدى جمالية الخطاب القرآني الحجاجي في ضرب الأمثال والتشبيه ، وسأحاول الإجابة عن بعض التساؤلات منها:

- ما هو الخطاب القرآني الحجاجي وما هي خصائصه؟
- ما مدى وجود الحجاج بالتشبيه وضرب الأمثال في الخطاب القرآني؟
- ما هي جمالية الحجاج بالتشبيه وضرب الأمثال في القرآن الكريم

وكان من جملة الدوافع التي أعانت على كتابة هذا البحث معرفة مدى احتواء الخطاب القرآني على الحجاج التشبيه وضرب الأمثال وما مدى جمالية هذا النوع من الخطاب.

وقد اتبعت المنهج الوصفي المناسب لتحليل الخطاب القرآني الحجاجي بوسائله المختلفة.

وقد رأيت أن تكون الخطة كالآتي:

1.المقدمة:

2.الخطاب القرآني وخصائصه الحجاجية.

3.ضرب الأمثال في القرآن الكريم، المفهوم والأهمية:

4.نماذج من الخطاب القرآني الحجاجي في ضرب الأمثال:

5.خاتمة.

6.قائمة المصادر والمراجع.

2. الخطاب القرآني وخصائصه الحجاجية

لكي نتعرف على هذا التركيب الوصفي الخطاب القرآني الحجاج لا بد أن نعرف كل مصطلح على حدة وهي الخطاب القرآني والحجاج كما سأبين:

1.2 تعريف الخطاب:

لفظة الخطاب من الألفاظ التي كثر استعمالها في الخطاب العربي المعاصر، ويجدر بنا في البداية أن نعرّف الخطاب في اللغة والاصطلاح.

والخطابُ لغةً مراجعة الكلام، فقد جاء عن ابن منظور:"وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً، وهما يتخاطبان.(ابن منظور، 1988) وذكر الزمخشري أن:"خطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام" (الزمخشري، 1979).

وهناك مرادفات لمفهوم الخطاب منها: النص، والرسالة (الحلبي السمين، 1993). والكلام، واللغة، والأطروحة، والحديث، وأسلوب التناول، والسرد، والقول، والحكاية...

ونجد هذا المصطلح باشتقاقاته المختلفة في مواضع عدة من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ [سورة ص، الآية: **20**]. وقوله تعالى:﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾ [سورة الفرقان، الآية: 63.].

أما في الاصطلاح فتعددّت الدراسات حول الخطاب وتشعّبت الآراء وصار من الصعب تمييز مضامينها المتعددة، مما جعلنا نتيه وسط، ومن تعريفات الخطاب نجد أنه سلسلة من الملفوظات يمكن تحليلها باعتبارها وحدات أعلى من الجملة تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات السياقية والنصية بين الجمل فهو إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، مع الاعتماد على وسائل الإقناع والاستدلال.

2.2 مفهوم الخطاب القرآني

الخطاب جنس يشمل كل خطاب؛ فهناك الخطاب الشفهي والمكتوب والمسموع، والخطاب الشعري والنثري، ولخطاب الديني والعلمي والفلسفي، والخطاب المباشر وغير المباشر... وبإضافته إلى القرآن تخرج كل أنواع الخطابات الأخرى، و ويخرج خطاب غيره من كلام البشر من جن أو أنس أو ملائكة أو غيرهم، فإنها وإن كانت خطابات إلا أنها ليست لها تلك المميزات التي حواها القرآن الكريم الكتاب المعجز بأسلوبه وبما حوى من قضايا وأحكام.

ومصطلح الخطاب القرآني ذاع في العصر الحديث، وله مرتكز وأصل قديم، ولم يُعرف في ثقافة المسلمين، فهو ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج.... الخ.

وهو الخطاب الذي أنزله الله تعالى على عبده محمد ρ لكافة البشر، وهو خطاب مبين لا حاجة معه لكتاب آخر، للاستعانة به عليه؛ لما تضمنه من مفردات واضحة وآيات بينة، تجعله يتوجه للناس كافة دونما استثناء.

وعلى الرّغم من أنّ الخطاب القرآني يخاطب العاطفة والوجدان، إلاّ أنه يتوجّه إلى الفكر وإلى العقل، ويوظّف تقنيات البرهنة والاستدلال على العقائد والأحكام والحقائق الدنية والدنيوية وحتى على الغيبيات، ويروم الإقناع بعد أن يكون قد خيّلها في النّفس انطلاقا من أساليب خاصّة تنسجم مع أسلوبه المبهر وصوره الفنية وجمالياته الفذة.

3.2. مفهوم الحجاج

لم تخلو كتب التراث العربي الإسلامي من وجود مصطلح الحجاج أو الاحتجاج أو أحد مشتقاتها، في عدة مجالات، وهو مستعمل في علوم كثيرة؛ كاللغة- وما يدخل تحتها من فنون-وعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول...

والحجاج من حَاجَجْتُه، أحاجّه حِجَاجاً ومحاجةً، حتى حَجَجْتُه، أي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أدليت بها. والحُجَّة:البرهان (ابن منظور، 1988). وهناك معاني لغوية عديدة حواها الجذر (ح.ج.ج)منها:القصد والمغالبة والمخاصمة والمنازعة قصد الظفر والإحاطة، والكف والتوقف والارتداد (أحمد ابن فارس ، 1979). وبحكم صيغتها الصرفية تدل: على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة.

وهناك مفردات كثيرة في القرآن تقترب من هذا المفهوم منها:الجدال والمجادلة، والمخاصمة، والمراء والحوار والنزاع أو المنازعة، والاختلاف (لكحل سعدية، 2011)

وهناك بحث موسوم بـ"مفهوم الحجاج في القرآن الكريم- دراسة مصطلحية-" للباحثة الباحثة ميارة محفوظ والتي أفاضت في المسألة بشكل موسع لمن أراد الاطلاع أكثر (لمهابة محفوظ ميارة، 2006).

2 .3 .2. معنى الحجاج في الاصطلاح

إن المفهوم العام للحِجَاج هو:"الطريقة التي تعرض بها الحجج، والمصطلح يحيل أيضاً إلى مجموع الحجج التي تنشأ عن هذا التقديم؛ أي طريقة تنظيم واستعراض الحجج للمخاطب.

وأما الحجاج في القرآن الكريم فهو مفهوم يعبر عنه بالأساليب والعبارات التي ترشد إلى الحوار وتهدف إلى الإقناع؛ فهو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، وذلك باستخدام الدلائل العقلية والعلمية واللغوية والفطرية والكونية في الأنفس والآفاق، إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله تعالى ولقائه ورسله وجزائه وقضايا الآخرة بعثا وحشرا ونشرا وعرضا وحسابا ومصيرا (لمهابة محفوظ ميارة، 2006).

إنه استعمال المناهج الجدلية والبراهين القرآنية في الدعوة إلى الصراط المستقيم الموصل إلى ذي العزة والجلال.إنه انتهاج الطرق الحوارية الكفيلة بتحقيق الحق وتثبيته، وإبطال الباطل وتزهيقه دفعا لضلالات الكافرين وشبهات المنافقين وتشكيكات اليهود والنصارى والملحدين (لمهابة محفوظ ميارة، 2006). وقد جمع القرآن الكريم كل تلك الدلالات في قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ [سورة الأنعام، الآية: 149.].

2 .4. خصائص الحجاج في الخطاب القرآني

لا شك أن القرآن الكريم معجزة بكل أبعادها ومجالاتها العلمية واللغوية والبيانية والجمالية والخطابية، وهو خطاب عالمي، استوعب قضايا العالمين؛ وهو قادر على استيعاب خصوصيات اللغة وسائر أنماطها الثقافية ومناهجها المعرفية، والسبب في ذلك أنه يشتمل على خصائص بلاغية تؤهله لذلك. ومنها ما يلي:

2 .4 .1. الخطاب القرآني يضم العديد من الحجاج والبراهين ويستدل بها كلّها، فنجد في الآية الواحدة أو الآيات المتتابعة عددًا من الحجاج والبراهين.

2 .4 .2. الخطاب القرآني موجّه لكل فئات الناس وإلى كل المخالفين، باختلاف ثقافتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، لذلك تنوّعت الحجاج تبعا لهؤلاء الناس، وهذا منطقي؛ وهذا من بلاغته لأنه يحتوي كل الثقافات بلغة واحدة.

2 .4 .3. أسلوب الخطاب القرآني سهل واضح ملائم للفطرة خالي من التعقيد؛ يخاطب الله به القلب والعقل والنفس ولا يكفلها عنتًا في الاقتناع، ولا يتحدث قضايا ذهنية مجردة، كما هي طريقة الفلاسفة والمتكلمين.

2 .4 .4. الخطاب القرآني خطاب معجِز، ويتمثل يتمثل في عدم قدرة الخطابات الأخرى على مواكبة كل الأزمنة، فبإعجازه يستوعب الواقع ويتجاوزه، ويستوعبه بما يحمل من قدرات الخطاب المهيأ للتنزل على أي واقع، مهما كانت التغيرات النوعية فيه، وذلك بمقاصده الكبرى. لذلك يمكننا إدراجه في الإعجاز الحجاجي.

3. ضرب الأمثال في القرآن الكريم، المفهوم والأهمية

اعتمد القرآن الكريم كل السبل التي من شانها أن تنير درب العباد وقد كان يدلل على ذلك ويقنع كل من له شك في دعوة الإسلام، وقد لجأ إلى ضرب الأمثال كأسلوب من أساليبه الكثيرة في التبيين والإيضاح والإقناع والهداية، وهذا ما سنتحدث عنه في هذه المسألة.

1 .3. مفهوم ضرب الأمثال

الأمثال جمع للفظة مِثل أو مَثَل الذي له معاني مختلفة، كالنظير والصفة والعبرة، فهو مشتق من مِثل،

أي شِبه، وفلان أمثل من بفلان أي أشبه به، المَثَلُ الشيءُ يُضرَبُ للشيء فيُجْعَل مِثْلَه. وأكثرُ ما جاءَ في القرآن منه، والمِثلُ: شِبْهُ الشيءِ في المِثال والقَدْر ونحوِه (ابن منظور، 1988) و(الزبيدي، 1965).

ومنه قول الشاعر كعب بن زهير(ابن حجة الحمو، 1985):

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ** وما مواعيدها إلاّ الأباطيل

أما ضرب الأمثال فقد استعمل الضرب في قولهم "ضرب مثلا" أو أضرب مثلا" مجازا في الوضع والجعل من قولهم: ضرب خيمة وضرب بيتا.

قال عبدة بن الطبيب (يحي الجبوري، 1971).

إنَّ الَّتي ضَرَبَت بَيتاً مُهاجِرَةً*بِكوفَةِ الجُندِ غالَت وُدَّها غولُ

وقول الفرزدق (الفرزدق، 1987):

ضَرَبَت عَلَيكَ العَنكَبوتَ بِنَسجِها*وَقَضى عَلَيكَ بِهِ الكِتابُ المُنزَلُ

ومعنى ضربَ اللهُ مثلاً، وصفَ وبيَّن (الجوهري، 1987). وضَرْبُ الأَمْثَالِ: اعْتِبَارُ الشَّيْءِ بِغَيْرِه. وضَرْبُ المَثَلِ: إِيرادُه لِيُتَمَثَّل بِهِ وَيُتَصَوَّر مَا أَرَادَ المُتَكَلِّمُ بَيَانَه لِلْمُخَاطَب (الزبيدي، 1965).

فضرب المثل هو وصف وتبيين واعتبار أمر بأمر مشابه، لغرض معين.

2.3.أهمية ضرب الأمثال في القرآن

لقد ضَرَبَ الله تعالى الأمثال في كتابه العزيز، وقد دلّت آيات قرآنية كثيرة على أنّ القرآن مشتمل على الأمثال، وأنّه سبحانه وتعالى ما ضرب بها مثلاً للناس ألا ليبرز فوائد جمة، وقضايا كبيرة، ويدحض به آراء المخالفين والكفار والمعاندين.

قال الترمذي:" اعلم بأن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليه الأشياء فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا جرم ما ضرب الأمثال من نفسه لنفسه، وكيف ولا مثل له ولا شبيه له. فلذلك قال جل ذكره ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾ [سورة النحل، الآية: 74.] فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عيانا فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالما لقوله تعالى﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[سورة العنكبوت، الآية: 43.]" (الترمذي، أبو عبد الله محمد، 1987).

قال محمد أبو زهرة:"من ينابيع الاستدلال في القرآن التي تثبت قدرة الله تعالى، وصدق ما يطلب الدين الحق وما أتى به القرآن التشبيه وضرب الأمثال (محمد أبو زهرة، 1996).

إنَّ ضرْبَ المثَل أبلغُ في التَّأثير، وأوقعُ في النَّفس، وأقوى في إقامة الحجَّة، ويجعل الحقائقَ أثبتَ في العقول، وأعلقَ بالنَّفس، فكم من آيةٍ يمرُّ عليها الإنسانُ غيرَ مكترثٍ بها، فاقدَ الاتِّعاظِ والتَّذكرة، ولكن حينما تأتي في صورةِ مثَلٍ - قريبًا من المثالِ - تتحرَّكُ العواطفُ، ويستيقظُ الضَّمير، وفيه ذِكْرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيدٌ (مرشد الحيالي، 2012)

وقد"تبنى القرآن الكريم أساليب القص وضرب الأمثال كواحدة من الأساليب الحجاجية المتعددة التي تهدف إلى إثبات أو نفي بعض المعتقدات الخاطئة عن الله -جل في علاه- أو عن المخلوقات والآيات الكونية (ابتسام صغيور، 2017).

ولعلّ من أهمية ضرب الأمثال وفوائده أنه يقرّب المعنى ويشرح الفكرة، ويزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجاولة

في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة (عبد الرحمن بن حسن الميداني، 2996).

وقد ذكر عبد الرحمن بن حسن أن العديد من الأغراض ومنها:"الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجّة البرهانيّة، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجّة الخطابيّة، وقد يقتصر على مجرّد لفت النّظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهةّ" (أبو هلال العسكري، 1988).

إذا ! لضرب الأمثال في القرآن الكريم الكثير من المقاصد، ومنها الاحتجاج؛ حيث يلزم من تسليم الممثل به، وإدراك أن الممثل مطابق له.

3. 3.آيات القرآن في ضرب الأمثال

اشتمل القرآن الكريم على بضعة وأربعين مثلاً؛ تَتَضَمَّنُ تَشْبِيهَ الشَّيْءِ بِنَظِيرِهِ، وَالتَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ، قال تعالى:﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾[سورة الحشر، الآية: 21]. بِالْقِيَاسِ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ مِنْ خَاصَّةِ الْعَقْلِ، وَقَدْ رَكَّزَ اللَّهُ فِي فِطَرِ النَّاسِ وَعُقُولِهِمُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ وَإِنْكَارَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا (محمد الأمين الشنقيطي، 1995) (ناصر بن سعيد السيف، 2016).

ومن الآيات التي تحدثت عن ضرب الأمثال في القرآن الكريم ما يلي: ما ذكر في القرآن الكريم نفسه، منها:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 26.].

وقوله تعالى:﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[سورة الحشر، الآية: 21.]

وقوله تعالى:﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 43].

وقوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[سورة الزمر، الآية: 27]

قوله تعالى ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾ [سورة الرعد، الآية: 17].

قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[سورة إبراهيم، الآيتان: 24-25].

قوله تعالى﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة النور، الآية: 35]

قوله تعالى﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان: 44-45].

قوله تعالى﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآيتان: 39].

فهذه الآيات الكريمة استعملت ضرب الأمثال في ألفاظها بعدة صيغ، وهذا تأكيد على أن القرآن الكريم ما جاء بهذه الوسيلة إلاّ لأهميتها، ولأنها نافذة عند البشر، ولأنها تؤدي إلى بعض أغراض التي جاء به القرآن الكريم، كالهداية، ودحض الشبه، والدفاع عن قضية التوحيد، وعملية إقناع المعاندين...

4. نماذج من الخطاب القرآني الحجاجي في التشبيه وضرب الأمثال:

من الأمثال القرآنية التي استخدمها القرآن الكريم في الحجاج والبرهان والاستدلال ما يلي:

4. 1. النموذج الأول:

4. 1. 1.قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[سورة الحج، الآية:73].

4. 1. 2.تفسير النموذج:

فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) هذا خطاب للمؤمنين والكفار، ضُرِبَ مَثَلٌ ألقوا إليه أسماعكم، ، وهو هذا:(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) شمل كل ما يدعى من دون الله (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فما فوقه من باب أولى، (وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) بل أبلغ من ذلك لو (يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) وهذا غاية ما يصير من العجز.(ضَعُفَ الطَّالِبُ) الذي هو المعبود من دون الله (وَالْمَطْلُوبُ) الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2000).

4. 1. 3.شرح المثل

هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، يقول القرطبي:"وَإِنَّمَا قَالَ:" ضُرِبَ مَثَلٌ" لِأَنَّ حُجَجَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ أَقْرَبُ إِلَى أَفْهَامِهِم" (القرطبي، 1964). ويقول أبو زهرة:"انظر إلى الدليل القاطع الذي يثبت بطلان الوثنية، ويقيم الدليل على الوحدانية، فإن الأوثان ومن يتبعونها ولو تضافرت كل القوى معها لا يمكن أن يخلقوا ذبابًا تلك الحشرة الضئيلة التي يستحقرونها، ولو أنَّ الذباب سلب منهم شيئًا، ولو اجتمعوا مع أوثانهم على أن يستردوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا... وهذا أضعف خلق الله تعالى في زعمهم، فكيف يكون للذين يدعونهم آلهة قوة أمام الله، وكيف يعبدونهم معه، وهم لا وجود لهم ولمن يعبدونهم بجواره سبحانه وتعالى-علوًّا كبيرًا" (أبو زهرة محمد، 1996).

انظر إلى جمال هذا المثل القرآني وكيف قدّم له ليثبت ويقرّر حقيقة عقدية، ويبطل قضية شركية وهي عبادة الأوثان، فبدأ هذا الخطاب بالنداء (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**) للتنبيه، وهو نداء لكل البشر (**النَّاسُ**). ثم جاء بالبناء المجهول (**ضُرِبَ مَثَلٌ**) ليفتح بابا للخيال واسعا لضارب المثل، ثم أمر المخاطبين بالاستماع (**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**)؛ ليشحذ هِممهم وينبّه عقولهم للتلقي، ثم خصص الاستماع للمثل لا لغيره (**لَهُ**) حتى لا يكون هناك شرود الذهن لأمر آخر، وإنما الأمر للاستماع إلى هذا المثل التالي، لا لغيره. ثم يأتي بالمثل ليقنع من يستمع أو من يخاطب بقضية التوحيد.

4. 2.النموذج الثاني

4. 2. 1.قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ،صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ،أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا﴾ [سورة البقرة، الآيات:17-20]

4. 2. 2.تفسير النموذج

مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي كان في ظلمة عظيمة، فاستوقد نارا من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، ، وبقي في الظلمة العظيمة، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون،

استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، أو مثلهم كالمطر الذي ينزل بكثرة، فِيهِ ظُلُمَاتٌ متعددة، وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ مع السحاب.كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ البرق في تلك الظلمات مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ وقفوا (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2000).

4. 3. 2.شرح المثل

إن الآية مثل ضربه الله لمن آتاه شيئا من الهدى فأضاعه، ولم يتوصل به إلى النعيم الأبدي. وفيها إخبار عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي، وأنهم بمنزلة من استوقد نارًا لتضيء له وينتفع بها؛ وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به، وانتفعوا به، وخالطوا المسلمين؛ ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طفئ عنهم، وذهب الله بزورهم (محمد عبد المنعم القيعي، 1996).

4. 3. النموذج الثالث

4. 3..1. قوله تعالى﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ،وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [سورة الأعراف، الآيات::175-177].

4. 3. 2.تفسير النموذج

وَاتْلُ على اليهود نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آياتِنا؛ وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد υ حسده وكفر به، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ حتى لحقه. فصار من الضالين. وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ إلى منازل الأبرار من العلماء بسبب تلك الآيات وملازمتها. وَلكِنَّهُ مال إلى الدنيا وَاتَّبَعَ هَواهُ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه، فَمَثَلُ صفته التي هي مثل في الخسة. كصفة الكلب في أخس أحواله، وهو يلهث دائماً، بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده : (ناصر الدين البيضاوي، 1418).

4. 3. 3.شرح المثل

ضرب الله بهذا الخطاب المثل في الانحراف عن الطريق السوي، وفي هذه الآيات مثال واضح للإنسان الذي ينحرف عن الفطرة السوية، وينقض عهد الله، وينكص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها، ذلك الإنسان آتاه الله آياته، وخلع عليه من فضله، وأعطاه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكنه انسلخ من هذا كله، وانحرف عن الهدى ليتبع الهوى، فاستولى عليه الشيطان، وطرد من حمى الله (ديب البغا مصطفى ومستو محيي الدين، 1998).

فهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ ρ عَلَى مَا أَيَّدَهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ، وَهُوَ مَثَلُ مَنْ آتَاهُ اللهُ آيَاتَهُ فَكَانَ عَالِمًا بِهَا حَافِظًا لِقَوَاعِدِهَا وَأَحْكَامِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ الْعَمَلَ مَعَ الْعِلْمِ، بَلْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا لِعِلْمِهِ تَمَامَ الْمُخَالَفَةِ، فَسُلِبَهَا...فَأَشْبَهَ الْحَيَّةَ الَّتِي تَنْسَلِخُ مِنْ جِلْدِهَا وَتَخْرُجُ مِنْهُ(محمد رشيد بن علي، 1990).

4. 4..النموذج الرابع

4. 4. 1.قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًاۖ هَلْ يَسْتَوُونَۚ الْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية:75.].

4. 4. 2.تفسير النموذج

ضرب الله مثلين يؤكد بهما إبطال عبادة المشركين...أولهما العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والحر الكريم الغنى الكثير الإنفاق سرا وجهرا، ولفت النظر إلى أنهما هل يكونان في نظر العقل سواء، مع تساويهما في الخلق والصورة البشرية؟ وإذا امتنع ذلك فكيف ينبغي أن يسوى بين القادر على الرزق

والإفضال، والأصنام التي لا تملك ولا تقدر على النفع والضر (أحمد المراغي، 1946).

4.4.3.شرح المثل

نلاحظ بتمعن هذا النموذج القرآني الرائع في ضرْب الأمثال، وذلك في للدلالة على أن الله تعالى هو الإله الحق، وأن الأوثان لا تستحق أن تعبد.

فقد دلّ المثل في الخطاب القرآني هنا على عجز الأصنام عن أن تنفع عابدها بشيء؛ إذ مثَّل حالَها بِحال العبد المملوك الذي لا يقدِرُ على شيء، ودلَّ على كمال قُدرته Y؛ إذ جعل في مقابلة العبد المملوك الممثل للأصنام مَن اتسع رزقه وكان ينفق منه كيف يشاء، ومن له مسكة من العقل لا يتولى العاجز بالعبادة، ويدع عبادة القادر على كل شيء.

5.الخاتمة

بعد الإنهاء من جزيئات هذا البحث نستخلص أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها ومنها:

- يعد الخطاب القرآني خطابا حجاجيا إقناعيا في كثير من آياته؛ لأن الغرض من إنزاله هو هداية الناس، وإقناعهم بمزايا الدين الإسلامي.
- استخدم الخطاب القرآني في الحِجاج العديد من الوسائل؛ ومن تلك الوسائل الحجاج بضرب الأمثال والتشبيه.
- نالت وسيلة الحجاج بضرب الأمثال نصيبا وافرا في الخطاب القرآني.
- استخدم القرآنُ الكريم الحجاجَ بضرب الأمثال في التدليل على وجود الله تعالى، وبطلان الأصنام، وصحة العقيدة الإسلامية، وأحقية دعوة الأنبياء عليهم السلام.

هذا ما أمكن جمعه، وتيسر نظمه، في هذه الوريقات، والفضل لله وحده.

والحمد لله رب العالمين.

6. قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1) ابتسام صغيور .(2017) .الأساليب الحجاجية والإقناعية في القرآن الكريم .مجلة الآداب واللغات الجزائر .23 ,

2) ابن حجة الحمو .(1985) .شرح قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد .السعودية :مكتبة المعارف.

3) ابن منظور. (1988). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

4) أبو زهرة محمد .((1996)) .المعجزة الكبرى القرآن)نزوله -كتابته -جمعه -إعجازه -جدله -علومه - تفسيره -حكم الغناء به .

5) أبو هلال العسكري .(1988) .جمهرة الأمثال . لبنان :دار الفكر.

6) أحمد ابن فارس .(1979) .معجم مقاييس اللغة .لبنان :دار الفكر.

7) أحمد المراغي .(1946) .تفسير المراغي .مصر : تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

8) الترمذي، أبو عبد الله محمد .(1987) .الأمثال من الكتاب والسنة، .بيروت، لبنان :دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع.

9) الجوهري .(1987) .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .لبنان :دار العلم للملايين.

10) الحلبي السمين. (1993). عمدة الحفاظ في تفسير أشرف االألفاظ. بيروت، لبنان: عالم الكتب والنشر.

11) الزبيدي .(1965) .تاج العروس .الكويت :دار الهداية .

12) الزمخشري. (1979). أساس البلاغة. لبنان: دار الفكر.

13) الفرزدق .(1987) .الديوان .لبنان :دار الكتب العلمية.

14) القرطبي .(1964) .الجامع لأحكام القرآن . القاهرة، مصر :دار الكتب المصرية.

15) ديب البغا مصطفى ومستو محيي الدين . .(1998)الواضح في علوم القرآن .دمشق، سوريا :دار العلوم الإنسانية.

16) عبد الرحمن بن حسن الميداني .(2996) . البلاغة العربية .دمشق، سوريا :دار القلم.

17) عبد الرحمن بن ناصر السعدي .(2000) .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .مؤسسة الرسالة.

18) لكحل سعدية .(2011) .الحجاج في خطابات النبي إبراهيم .تيزي وزو، ,كلية الآداب واللغات , الجزائر :جامعة تيزي وزو.

19) لمهابة محفوظ ميارة .(2006) .مفهوم الحجاج في القرآن الكريم .مجلة مجمع اللغة العربية .26 ,

20) محمد أبو زهرة .(1996) .المعجزة الكبرى القرآن)نزوله -كتابته -جمعه -إعجازه -جدله -علومه - تفسيره -حكم الغناء به .(لبنان :ار الفكر العربي.

21) محمد الأمين الشنقيطي .(1995) .أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .بيروت، لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

22) محمد رشيد بن علي .(1990) .تفسير القرآن الحكيم)تفسير المنار .(مصر :لهيئة المصرية العامة للكتاب.

23) محمد عبد المنعم القيعي .(1996) .الأصلان في علوم القرآن .

24) مرشد الحيالي .(2012) .ضرب المثل في دروس الداعية سعيد بن مسفر .موقع الألوكة الشرعية. .

25) مرشد الحيالي .(17 05 ,2012) .ضرب المثل في دروس الداعية سعيد بن مسفر .,موقع الألوكية الشرعية :
https://www.alukah.net/sharia/0/41081/#ixzz6iVv1dZki

26) ناصر الدين البيضاوي .(1418) .أنوار التنزيل وأسرار التأويل .بيروت، لبنان، :دار إحياء التراث العربي.

27) ناصر بن سعيد السيف .(2016) .القياس : معناه وأقسامه موقع الألوكة الشرعية : http://cp.alukah.net/sharia/0/106374/

28) يحيي الجبوري .(1971) .شعر عبدة بن الطبيب .العراق :دار التربية للطباعة والنشر.